دراسات و أبحاث :

علم القراءة في العصور المتوسطة في الهند

[الحلقة الثانية]

بقلم : الدكتور ظفر الإسلام الإصلاحي
سكرتير إدارة علوم القرآن - عليجراه (الهند)

تعريب : الأستاذ رشيد أحمد الأعظمي الندوي

بالمناسبة نتحدث الآن عن خبراء فن القراءة والتجويد في هذا العصر، ممن قاموا بنشر هذا الفن الشريف وتوسعة نطاقه ، سواء عن طريق مراكز فردية أو بواسطة الكتاتيب والمدارس ، حتى نكون على إلمام بانطباعات وآراء المؤرخين وأصحاب السير عنهم ، ونقدر مدى الاهتمام بهذا الفن والاعتناء به في ذلك العصر ، ونعرف كم كان فيه من المجوّدين البارعين والمقرئين النابغين .

في أوائل العهد الإسلامي في الهند عرف عدد من العلماء بلقب « المقرئ » في مقدمتهم الشيخ محمد قاسم المقرئ ، كان الشيخ محمد قاسم من تلاميذ الشيخ نظام الدين أبي المؤيد ، ومن معاصرى الملك غياث الدين بلبن ، وكان يشتغل بتدريس علم التجويد والقراءة كما كان يفتتح مجلس شيخه بتلاوة القرآن الكريم ويمتّع الحاضرين بحسن تلاوته (١) .

كان عهد الملك علاء الدين الخلجي (١٢٩٦-١٣١٦هـ) معروفا بالتقدم

---

(١) فوائد الفوائد : ص/٢٢٢ .

العلمي والحضاري وكان فيه علماء متخصصون في العلوم والفنون المختلفة ، وعرف عدد كبير منهم باعتنائهم بعلم القراءة والتجويد بلقب « المقرئ » منهم الشيخ علاء الدين المقرئ ، والشيخ جمال الدين الشاطبي المقرئ ، والشيخ حميد المقرئ ، والشيخ ذكي الدهلوي المقرئ .

وكان هؤلاء المقرؤن النابغون كلهم مرتبطين ببلاط الملك علاء الدين الخلجي ومقيمين بعاصمة دلهي ، ولتقدير علوّ مكانتهم وعظمة شأنهم في فن القراءة والتجويد يكفى أن نشير إلى ما ذكره المؤرخ ضياء الدين البرني يقول : « لا يوجد له مثيل في هذا الفن في الخراسان والعراق (١) » .

وهناك مقرؤن آخرون غيرهم ، في ذلك العصر ، ولهم دور بارز في تطوير هذا الفن ونشره ، منهم الشيخ خواجغي المقرئ ، والشيخ شهاب الدين المقرئ ، والشيخ شادي المقرئ ، والشيخ علاء الدين المقرئ ، كان الأخير منهم من أتباع الشيخ نظام الدين أولياء ، ومن أساتذة علم القراءة والتجويد المرموقين .

وذكر مؤلف سير الأولياء أن لصوته تأثيرا كبيرا كتأثير « اللحن الداؤدي » وطالما كان الشيخ نظام الدين أولياء يستمع تلاوته للقرآن الكريم فيلين قلبه بحسن تجويده ويبكى بكاء كثيرًا ، ولأجل هذه الميزة العظيمة له فوض إليه سلطان المشايخ مسئولية الإمامة في الصلاة فقام بها خير قيام إلى آخر حياته .

ومن خبراء فن القراءة والتجويد في القرن الخامس عشر الميلادي

---

(١) البرني : ص/٢٥٥ .

الشيخ محمد بن محمود المقرئ ، وتلميذه البارع الشيخ راجح بن داؤد الأحمد آبادي (١) كما امتاز في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في هذا الفن الشريف الشيخ سليمان بن عفان المندوي المتوفى سنة ١٥٢٧هـ ، والشيخ عبد الملك الغزنوي المتوفى سنة ١٥٤٩هـ .

كان الشيخ سليمان بن عفان المندوي معاصرا للملك همايون وله يد طولى في فن القراءة والتجويد ، فكان من تلاميذه العالم الجليل الشيخ عبد القدوس الگنگوهي المتوفى سنة ١٥٢٨هـ .

وذكر الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في كتابه « أخبار الأخيار » : كان الشيخ سليمان بن عفان المندوي منعدم النظير في فن القراءة والتجويد (٢) وهذا خير دليل على علوّ كعبه في هذا الفن .

أما الشيخ عبد الملك الغزنوي فإنه كان من بلاد غزنة وجاء إلى الهند على طلب من الملك سكندر اللودي (١٤٨٨-١٥١٧م) وما زال قائمًا بنشر العلوم والفنون المختلفة إلى نهاية عهد الملك إسلام شاه سنة ١٥٥٢م .

وبما أنه كان متفوقا في علم القراءة والتجويد فكان يؤمه مئات من الطلاب ممن كانوا مولعين بهذا العلم ويقضون نهمتهم العلمية (٣) ، ومن القرئين النابغين في عهد الملك أكبر (١٥٥٦- ١٦٠٥م) الشيخ بهيكن الكاكوروي المتوفى سنة ١٥٧٤م ، والشيخ سيف الدين الكاكوروي ،

---

(١) تذكرة علماء الهند : ص/ ٦٢ ، نزهة الخواطر : ١١١/٤ .

(٢) أخبار الأخيار : ص/٢١٢ .

(٣) نزهة الخواطر : ٢١٧/٤ .

والشيخ حمزة اللكنوي ، و الشيخ عبد القادر المنـدوي ، المتوفى سنة ١٥٧٧م .

كان الأول منهم حافظا للقرآن الكريم عن طرق القراءات السبع المعروفة ، وكان يدرس كل يوم تلاميذه « الشاطبية » للإمام أبي القاسم الشاطبي (١) كذلك استفاد من الشيخ سيف الدين الكاكوروي في هذا الفن خلق كثير (٢) وكان للشيخ حمزة اللكنوي شغف كبير بتجويد تلاوة القرآن الكريم ، وتحسين صوته فيها ، حتى عرف بحسن الصوت والألحان (٣) .

وكذلك كسب شهرة كبيرة في هذا الفن في هذا العصر الشيخ مبارك الناغوري المتوفى سنة ١٥٩٣م ، والشيخ منور اللاهوري المتوفى سنة ١٦٠٢م .

فكان الشيخ مبارك الناغوري حفظ القرآن وفق القراءات العشر ، كما حفظ الكتاب الشهير « حرز الأماني » المعروف بالشاطبية للإمام أبي القاسم الشاطبي (٤) .

وكان الشيخ منور اللاهوري من أساتذة القراءات السبع ، وقد امتاز في فن التفسير أيضًا ، فألف في هذا الفن كتابا باسم « درر التنظيم في

---

(١) البدايوني : ٢٤/٢ .

(٢) نزهة الخواطر : ١٢١/٤-١٢٢ .

(٣) البدايوني : ٦٢/٢ .

(٤) تذكرة علماء الهند : ص/١٧٤١ .

ترتيب الآي والسور الكريمة » (١) .

ومن العلماء البارزين لعلم القراءة في عصر الملك شاهجهان الشيخ أبو المعاني المتوفى سنة ١٦٢٧م ، فقد برع في هذا الفن ونال صيتا كبيرًا فيه ، وطار صيت نبوغه في الآفاق حتى وصل إلى حضرة الملك شاهجهان ، فعقد مجلسًا كبيرًا لقيامه بمظاهرة تلاوة القرآن الكريم ، وحضر المجلس مع الملك عدد من أعيان البلد ، فتلى الشيخ أبو المعاني بمناسبة شهر رمضان المبارك آية : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى و الفرقان ﴾ فـرق قلب الملك باستماع تلاوته وتمتع بـه حتى طلب منـه إعادتها ، و لقبـه في نهاية المجلس بـ « شمس القراء » (٢) .

وتشير هذه الواقعة إلى أن الملوك والسلاطين في ذلك العصر كانوا يقومون بتقدير واحترام بالغين للمقرئين والمجودين البارعين ، وكان ذلك عاملا قويا للاعتناء بدراسة علم القراءة والتجويد وإحراز قصب السبق فيه .

وكما اعتنى الناس في العصور المتوسطة من الهند بدراسة علم القراءة والتجويد بشغف كبير ، وحُفظ بعض الكتب المؤلفة في هذا الفن ، كذلك اعتنى علماء وأساتذة هذا الفن بتوسيع نطاقه عن طريق التأليف والتصنيف ، لكن الأمر الذي يبعثنا على العجب والحيرة هو أننا لا نعثر

---

(١) نزهة الخواطر : ٥/٤١١-٤١٢ .

(٢) مآثر الكرام : ص/٦٦-٦٧ .

على أي كتاب ألف في هذا الفن في أوائل العهد الإسلامي .

أما أول كتاب نطلع عليه في هذا الفن ، فهو كتاب « الدرر الفريدة في القراءة والتجويد » من تأليف الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي المتوفى سنة ١٦٤٢م ، وهذا الكتاب ألف في عصر المغول (١) .

وقد ذاع في هذا العصر – عصر المغول – عمل تأليف الشروح والحواشي للكتب الدراسية المهمة ، فكما ألفت الشروح للكتب الدراسية للفنون الأخرى كذلك ألفت الشروح للكتب الدراسية في فن القراءة والتجويد ، ففي عهد الملك أكبر ألف الشيخ محمد الصديقي الكاكوروي شرحًا لكتاب « الشاطبية » باللغة الفارسية ، وهذا الشرح يشتمل على سبعين مجلدًا أو سبعين جزءًا كما أشار إليه المؤرخ البدايوني ، ومؤلف الثقافة الإسلامية في الهند (٢) .

ومعلوم أن عصر الملك أو رنگ زيب عالمگير يمتاز عن عصور الملوك والسلاطين في الهند بكثرة أعمال التأليف والتصنيف فيه ، فقد اهتم العلماء في هذا العصر بتأليف الكتب في العلوم والفنون المختلفة وقاموا بتأليف الكتب العديدة في فن القراءة والتجويد كفنون أخرى ، وفيما يلي أسماء بعض الكتب المهمة منها :

---

(١) (الثقافة الإسلامية في الهند) : ص/١٧٤ ، (نزهة الخواطر) : ج/٥ ، ص/١٠٦ .

(٢) (البدايوني) : ج/٢ ، ص/٢٤-٤٥ ، (الثقافة الإسلامية في الهند) : ص/٧٤ .

١ – « مفيد القارئ » للشيخ نعمة الله اللاهوري .

٢ – « حلية القارئ » للشيخ أحمد بن ركن الدين الحسيني .

٣ – « نجاة القارئ » للشيخ مير سيد علي الحظلاني .

٤ – « رسالة في القراءة » للشيخ أحمد بن رضا الحيدرآبادي .

٥ – « رسالة التجويد » للشيخ ملا جيون .

٦ – « معرفة القراءة » للشيخ عبد الرحيم بن يوسف .

هذا ! وقد اتضح جليا من التفاصيل المذكورة أنه قد تركزت العناية الكبيرة في فن القراءة والتجويد في العصور المتوسطة من الهند ، وكان فيها عدد كبير من نبغاء هذا الفن ممن كانوا حافظين للقرآن الكريم بالقراءات السبع والعشر ، وأن العلماء والمقرئين النابغين قد قاموا بنشر هذا الفن العظيم وتوسيع نطاقه عن طريق التدريس والتعليم والتصنيف والتأليف ، وكذلك اتضح من هذه التفاصيل أن هؤلاء العلماء والمقرئين قد حظوا بتقدير واحترام من الملوك والسلاطين ، فكان ذلك مشجعا كبيرًا لهم للقيام بخدماتهم نحو نشر هذا الفن الشريف .

• • • •

> يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً • نصفه أو انقص منه قليلاً • أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً

صور و أوضاع :

شعلة الحرية أو طوق الاستعباد

واضح رشيد الندوي

يواجه كل من يزور أمريكا تمثالاً شامخًا في نيويورك يحمل شعلة الحرية ويهتف بالناس بهذه الأبيات التي قالتها الشاعرة الأمريكية « ايما لازاروس » :

« اعطوني المرهقين منكم والبؤساء ، وجميع الأكداس البشرية التي تهفو إلى نسيم الحرية .
أولئك التعساء الذين رمتهم شواطئكم الصاخبة .
ارسلوا إليّ هؤلآء الذين لا ماوى لهم .
الذين طوّحت بهم العاصفة .
فإنني ارفع لهم شعلتي عند الباب الذهبي » (١) .

إن هذه الأبيات تصور مشاعر الأمريكيين قبل أن تصبح أمريكا قوة دولية كبرى ذات أطماع ، ومصالح سياسية واقتصادية توسعية . فقد كانت بداية أمريكا بداية متواضعة انقضى عهد طويل منها في الخمول ، لا يعرف عنه الإنسان المعاصر ، كانت منطقة مجهولة ، اكتشفها المغامرون الذين ضلوا الطريق ، ثم انها كانت متخلفة . كانت مأوى المشردين من العصاة ، والمتمردين والخارجين على القانون كانت ترسلهم الدول الأوربية للتخلص منهم ، كما كان العصاة يرسلون من الهند وراء البحار خلال عهد الحكم الإنجليزي ، ثم صارت أمريكا مستعمرة انكليزية ، تحررت بعد نضال مرير من الاستعمار ، فعاني الأمريكيون سواء كانوا من المواطنين الأصليين أم كانوا من القادمين من الخارج كثيرًا وشهدوا بؤس الحياة ، وذاقوا مرارتها ، وعرفوا لذعة الهم ،

---

(١) ترجمة الأبيات مأخوذة من مقدمة كتاب « أمريكا وإسرائيل » للدكتور محمد معروف الدوالي .